العنوان:	المثقف والمصالحة آليات الحوار الوطني
المصدر:	مجلة ثقافتنا - دائرة العلاقات الثقافية العامة - وزارة الثقافة - العراق
المؤلف الرئيسي:	الزبيدي، سعد مطر عبود
المجلد/العدد:	ع3
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2007
الصفحات:	18 - 21
رقم MD:	626791
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحوار الوطني، المصالحة الوطنية، المصالحة الوطنية العراقية، المثقفين العراقيين
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/626791

المثقف والمصالحة
آليات الحوار الوطني

● سعد مطر عبود الزبيدي



مقدمة

ان الخروج من الازمة المعاصرة يقتضي وعيا تجديديا بـه يقـع تجاوز المرحلة النكوصية التي طابقـت بـين الهوية وتجربة الماضي وبـه يكون الدخول الى العصر بمفكر معاصر ينظر من خلاله الى الماضي والحاضر والمستقبل في سياق معقلن وموصول.

والمعضلة الاساس اليوم هي تلك الفجوة التي زرعها النظام البائد بين السلطة والمواطن بحيث تحولت فيها السلطة الى (طوطم) اختزلت قدسانية المقـدس الشـرعي وافرغت وعي المواطن من محتواه المعرفي ليكون (روبوتا) تسيره في اتجاهات لا يفهم قصديتها واخرجت المثقف من دائرة حراكه، لكي لا يخترق تلك الاتجاهات ويعيد تشكيل الوعي لدى المواطن فكبلته بمحرمات سلطوية، وخطوط حمراء لا يمكن تجاوزها لتحصل على ديمومتها في الفراغ الثقـافي واستثمرت ما تبقى من الابداع الفكري او الادبـي او الفني ليصب في ودياتها. النكوص الى الماضي والاحتماء بامجاده وايامه السعيدة او آلية شائعة في حالات الفشـل. فالطفل الذي يعاني من الام الحـاضر نتيجة احـداث غيرت مكانته وقيمته في نظر نفسه، يعود الى الماضي الطفلي، ايام كان صغيرا يحـظى بالحب والحنان والرعاية والرضى، وهو يعود الى ذلك من خلال النكوص السـلوكي الى



عادات سابقة، والشيخ الهرم الذي لم يعد له حاضر ولم يبق له أمل في الغد، يهرب من واقعه المؤلم في الماضي، حيث يستعيد ذكريات الشباب وامجاده.. والفشل على كل صعيد حياتي ينحو بمس القيمة الذاتية والاعتبار الذاتي يدفع بصاحبه احيانا اذا اوصدت امامه ابواب المستقبل الى الاحتماء بماضيه، وخصوصا تلك الفترة الاكثر اشراقا منه، وكلهم يجد في تلك العودة تعزية وملاذا، وتكلهم يبعد عن نفسه تهديد انعدام القيمة بالاحتماء بالقيمة التي كان يتمتع بها ماضيا. وكلهم يستبدل الصورة البائسة من الوجود الراهن، باكثر الصور مجدا واشراقا في الماضي. ويشكل التمسك بالتقاليد آلية دفاعية بالقدر الذي يتيح تصريف العدوانية المتراكمة نتيجة للقهر المفروض على الانسان المستلب الاوجه الدفاعية للتمسك بالتقاليد الطائفية العديدة والمتنوعة ابرزها التحصن بتلك التقاليد وتلك الطائفية للشعور بالحماية ضد التهديد الخارجي، ضد خطر الذوبان واللافت للنظر أن المتسلط يؤكد على الطائفية والاعراف والتقاليد القبلية ليبقى يتمتع بامتيازاته وليجعل المواطن البائس والمستلب ان يقبل بالامر الواقع.

وعقيدة المتطرف تستمد من المخزون التاريخي بمحاكاة الصور الخارجية لرموز الدين وابطاله بعيدا عن قراءة نظام القيم والمثل الذي يصاغ على اساسها بناء الشخصية . حينئذ سيتورط ورثة التاريخ الديني باثقال التضخيم التاريخي فيروعهم أن قمصان التاريخ لم تكن مفصلة على قياس جسومهم الهزيلة وبذلك يقع المتدين غالبا في مأزق التوفيق والمواءمة بين انتصارات الماضي وهزائم الحاضر لاسيما افتقاره لضبط المسافة بين الممكن والمستحيل بسبب تجاهله أو جهله بالشروط الموضوعية لتحقيق الذات الدينية التي لا يمكن استثناءها عن السنن التاريخية وقوانين المجتمع.

ومن الاسباب التي تكمن خلف هذه الظواهر التي تعيق التقدم والاستقرار (الاستلاب السياسي). فالاستلاب هو اغتراب الناس عن الحياة السياسية يعادل الانعزال والتقوقع والانكفاء وترك السياسة الى الفئة الحاكمة لتفعل ما تشاء وما تريد وليس غريبا أن تسعى الفئة الحاكمة على مر التاريخ الى احتكار السياسة والفعل السياسي ضمن اطارها وفعالياتها. كما انه يصبح بديهيا أن يناضل الناس ايضا باستخلاص حقوقهم بالعمل السياسي والممارسة السياسية، وما توصل بعض المجتمعات الى صيغة المجتمع المدني الا محصلة لهذا النضال، فالمجتمع المدني باحزابه المتعددة الالوان، وجمعياته، ونقاباته، ووسائل اعلامه، يقف في وجه طغيان السلطات ويوقف زحفها على الحقوق السياسية والاجتماعية كما يوفر للمجتمع ضمن صيغ دستورية الحيوية والتفاعل والتطور نحو الارقى، من أجل الوصول الى المجتمع المدني الديمقراطي.

لا بد من مكابدة عسيرة وشاقة وعبر ولادات عسيرة واجهاضات متكررة قد يتحول المجتمع العراقي الى مجتمع مدني وقد لا تتوصل نهائيا عبر مدى منظور لمرحلة تاريخية معينة. فالاستلاب السياسي ظاهرة مزمنة وخطرة لعل ابرز تجلياتها حين تدمر مصالح الشعب أو ينتشر الفساد في جهاز دولة ما بنحو مريع بينما المواطن العادي وصل الى درجة من السلبية واليأس والعجز. أن الاستبداد يؤدي الى تغييب العقل والعقلانية في الممارسة السياسية والاجتماعية، ويظهر البديل عنه ردود الفعل العفوية والانفعالية، والارتكاسات الشعورية واللاشعورية وسيطرة الخرافة، ومن ثم الجهل، حيث تزداد الممنوعات في ظل الاستبداد ولا سيما ما يخص المناطق الحساسة التي تمسك باعناق المواطنين وتزداد من ثم المساحة المسكوت عنها، ويسود الصمت.

نستنتج مما تقدم أن كل تلك العوامل تشكل ضغوطا على الفرد العراقي، وصدمة نفسية، تجعله واقعا تحت تأثير النزعة القبلية والطائفية، ويخضع لانزياحات لا شعورية تشكل سلوكه على وفق مقتضيات الحاجة ومتطلبات الغريزة.

فاين دور الثقافة والمثقف في اخراج ذهنية الشخصية العراقية من التحيز الطائفي والقبلي الى هوية المواطنة والانفتاح على الآخر، واحترام التنوع، واعتماد الحوار في الحراك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي؟.

ماهي الثقافة

الثقافة في اللغة تفيد الحذق والفهم وسرعة التعلم، وكذلك تدل على التسوية والتقويم والاصلاح.

اما من الناحية الفكرية تعني اكتساب المعارف التي تنمي الحس النقدي والذوق والحكم. وقد تتخصص الثقافة من خلال اكتساب معرفة متعمقة في مجال معين كالفلسفة والآداب، أو الفنون والعلوم على اختلافها. او هي تتخذ معنى عاما يدل على المعرفة خارج نطاق الاختصاص وفي المجالات الفكرية المختلفة التي تعد ضرورية لكل انسان مستنير، مما يتيح له التعامل مع قضايا الانسان عموما بدرجة متقدمة من الانفتاح والاستيعاب والشمول.

اما في الجانب الاجتماعي فقد وضع الانجليزي تايلور عام ١٨٧١ في كتابه عن (الثقافة البدائية) تعريفا لا يزال يعد الى الان من اكمل التعريفات للثقافة بالمعنى الاجتماعي:(الثقافة هي تلك المجموعة المركبة التي تتضمن المعارف والمعتقدات والفن والحق والاخلاق والاعراف وكل الاستعدادات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان باعتباره عضوا في المجتمع).

وظيفة الثقافة

1-تقوم بتوحيد الناس في مجتمع خاص بهم وذلك من خلال تراكيب اللغة والرموز والمعتقدات والجماليات، حيث تبدو الثقافة كعالم ذهني واخلاقي ورمزي يشترك فيه اعضاء المجتمع وبفضله يتسنى لهم التوصل وتحقيق الانتماء الى كيان واحد.

كما أن الثقافة تؤطر الناس من خلال التراكيب المؤسسية الاجتماعية (درسة

الحقوقية، والتساكن، والمدرسة والمهن، والهيئات المختلفة) فمن خلال هذه التراكيب تنسج العلاقات الاجتماعية وتتحقق المصالح. وتتوقف قدرة وفعالية الثقافة في القيام بوظيفتها الاجتماعية هذه على قوة التراكيب والمؤسسات وحيويتها وقدرتها على اتاحة الفرصة لتحقيق حاجات الناس على هذا الصعيد.

.1الوظيفة النفسية: انها وظيفة تشكيل السلوك لافراد المجتمع أي اكتساب هؤلاء اساليب التفكير والمعرفة وقنوات التعبير عن العواطف والاحاسيس ووسائل اشباع الحاجات الفسيولوجية وهو ما اصبح يدل عليه بمصطلح (التدامج الاجتماعي) أو (التنشئة الاجتماعية) غاية هذه الوظيفة مساعدة الأفراد على التكيف مع الثقافة واكتسابهم لهويتهم الاجتماعية الثقافية، ومن هنا تكتسب اهميتها الكبرى.

من هو المثقف وما هي أدواره في الحياة وفي المجتمع

يؤكد افلاطون أن المثقف هو ذلك الذي تفرغ بالكلية للتأمل المجرد والتفكير في العلل والمبادىء الاولى، وبلغة أخرى، ذلك الذي يتفلسف طلباً للتشبه بالالهة، طالباً لمعرفة الحقيقة في حد ذاتها ولذاتها والمثقف لدى السفسطائيين الذين سبقوا افلاطون هو الرجل الفصيح المجادل ذو البلاغة العالية الذي يسعى إلى اشاعة ما يمكن تسميته الفضيلة السياسية عن طريق (علم البيان، الخطابة، سحر اللغة، البلاغة) ولكن سقراط يعرف المثقف هو الشخص الذي يمتلك خاصية (توليد الافكار) حيث يقول: (أن مهنة التوليد عندي وبالتحديد فن التوليد، كما امارسه، يشتمل على كل الوظائف التي تقوم بها القوابل مع انه يختلف معهن أذ انه يخلص الرجال وليس النساء ويعتني بارواحهم ولا يعتني باجسادهم).

وفي تعريف ديكارت للمثقف (هو ذلك الانسان الذي يمتلك الحس الاشكالي أي التسلح بالحذر الفلسفي لما تتسم به العامة من تعجل وانبساط مع المواضيع التي تريد الخوض فيها).

اما نيتشه فيصف المثقف بانه (ذلك الفرد المتجاوز لذاته) بينما يرى كانت أن المثقف هو (الذي يمتلك خاصية النقد والثقافة النقدية عندما كانت تمارس دور الرقابة) أي رقابة العقل على العقل حتى لا يسقط في ما يسميه كانت (بيداء الوهم) فالفعل الفلسفي حسب كانت يكمن اساساً في تفكيك العقل وهو يعمل أي الوقوف على آليات المعارف.

الادوار التي يمارسها المثقف في الصحافة

ان لعب الدور هو مواجهة الموقف، بل هو تحويل ما هو نظري إلى ما هو واقعي، ويستطيع المثقف من خلال هذه الادوار أن يمثل أو بالاحرى يجسد أفكاره، لتكون مرئية أو ملموسة وليست شفافية مجردة، ليتسنى له ايصال افكاره بنحو مباشر الى المتلقي.

فالمثقف الشاعر هو الذي يحرك في داخل المتلقي الطاقة الانفعالية، ويحرر جوانيته بقبول التغيير، وينمي لديه خاصية التامل، ويشذب مشاعره واحاسيسه ويجذبه الى التفاعل مع الآخر.

اما المثقف القاص، فمن خلال تقنيات السرد والحبكة والصراع والذروة، يمرر المتلقي بمراحل تحول، من مرحلة امتصاص القيم الى مرحلة تمثلها من خلال الاندماج والتوحيد، حيث يكون المتلقي معادلاً موضوعاً للشخصية الرئيسة في القصة من خلال اختراق الفجوات الموجودة في النص وردمها.

اما المثقف الفنان، فهو الذي يكشف عن وجه الحياة ويخرج ذهنية المتلقي من زنزانة التعويم والتماهي في سديمية الجهل والتخلف. فمن خلال اللوحة والالوان، والخطوط التعبيرية، يشبع المتلقي فضوله المعرفي، ويحرر وجدانه، ويرفض اشكال القبح والشر، ويكون مستعداً لخوض غمار الجمال. وكذلك المثقف المسرحي، الذي يكشف للمتلقي جوانب غامضة في الحياة، ويبصره أن الحوار هو الطريق الحقيقي لبلوغ التفاعل والتواصل مع الآخر. والاعلامي يبرز الحدث ويكشف عن خفاياه، ويلسخ من خلال الصورة التلفازية، أو من خلال







التكنيك الاخباري، ابعاد الحقيقة. ومن خلال هذه الادوار الابداعية والثقافية يخلخل المثقف جدار التحيز الفئوي، باعادة تشكيل الوعي بهوية المواطنة، وفق اليات النهج الديمقراطي الذي طرحه النص الابداعي شعرا وقصة وفكرا وتشكيلا وتجسيد ذلك بالاندماج بالمتلقي .اليات العمل على المصالحة الوطنية في المنظور الثقافي-:

لكي يتسنى للثقافة ان تلعب دورا فاعلا في ترسيخ الوعي بالمصالحة، وتقريب المشاعر والرؤى في اطار النهج الديمقراطي، وازالة الاحتقانات الفئوية، والتناحر الطائفي، لابد من أعتماد اليات فاعلة لتتيح مجالا اوسع لحراك المثقف والمنظومة الثقافية بنحو مباشر وفعال ومن هذه الاليات:

- الاعتراف بالمنظمات الثقافية الفاعلة في الوسط الثقافي، ودعمها، واعتماد طروحاتها الثقافية في وزارة الثقافة.
- المبادرة إلى تاسيس هيئة عليا تضم رؤوساء تلك المنظمات الثقافية الفاعلة في الوسط الثقافي، والتشاور معهم دوريا، وفق اليات تعتمدها وزارة الثقافة
- دعم نشاطات المثقفين من خلال فسح المجال امام نتاجهم الفكري والفني، في البرامج الثقافية والتلفزيونية، في الفضائيات العاملة في العراق.
- الاهتمام باصداراتهم الفكرية والادبية والفنية ودعمها ماديا ومعنويا، وخصوصا في مجال الطبع والنشر.
- أشراك المثقف في بناء المناهج التربوية، واستثمار نصوصه الابداعية في المقررات الدراسية.
- استثمار الندوات الثقافية والمؤتمرات والمهرجانات في اشراك جميع المثقفين في الدعوة إلى المصالحة
- فتح قنوات للتنسيق بين المنظمات الثقافية ووزارة الثقافة، لتطوير البرامج الثقافية على مختلف مجالاتها من خلال الاستشارة، وتبادل الاراء، وتفاعل وجهات النظر، بين مسؤولي وزارة الثقافة والمثقفين.
- اختيار مستشاري رؤوساء السلطات الرئيسة في الحكومة من الوسط الثقافي كمستشارين ثقافيين.
- فتح المجال امام الوسط الثقافي للمساهمة في التعديل الدستوري وسن تشريع قوانين لحماية الثقافة والمثقفين في العراق.
- تشكيل لجان من رؤوساء المنظمات الثقافية الفاعلة في الوسط الثقافي لحماية الموروث العراقي. مثل إعادة طبع نتاجات مثقفي العراق من بداية القرن الماضي الى الان وحماية النصب والتماثيل الفنية لأنها تمثل تاريخ العراق المعاصر.
- دعم المناهج الدراسية الخاصة بابراز التاريخ الحضاري للعراق. الفترة السومرية والبابلية والاشورية والاسلامية والدراسات الخاصة بنشوء انثروبولوجيا عراقية مميزة.

المصادر

- د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، معهد الانماء العربي- بيروت، ط١، ١٩٧٦
- علي عثمان، الاستلاب تحطيم العقل، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٤
- سليم دولة، ما الفلسفة، دار نقوش عربية، تونس، ص١، ١٩٨٧
- د. مصطفى حجازي مع مجموعة من المتخصصين، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والاصالة، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط- المملكة المغربية، ١٩٩٠، ط١